



كل شر في الوجود يبدأ صغيراً كالنبتة الصغيرة الضعيفة، فإذا لم يُعالج ويهدَّب في بداياته المبكرة فإنه ينمو ويقوى، كالشجرة تمتد جذورها عميقاً في بطن الأرض وتضرب أغصانها عالياً في جو السماء، فلا تقوى العصبة من الرجال على اقتلاعها، وقد كان يستطيع اقتلاعها طفلٌ صغير وهي لما تزل شتلةً طريةً ضعيفة.

من أجل ذلك ينتبه المرءون إلى أخطاء ونواقص الصغار في الطفولة المبكرة، وأيّما عيب غفلوا عنه وتركوه فإنه سيكبر مع الصغير ويصبح طبعاً غالباً يصعب التخلص منه في الكبر أو يستحيل، ومن أجل ذلك كتبت هذه المقالة. إن لجيئنا الحر على الثورة فضلاً وعليه ينعقد الأمل في قيادتها إلى النصر بإذن الله.

وما الجيش الحر؟

إنه كيان عظيم، أقله من العسكريين المنشقين عن جيش الاحتلال وأكثره من المجاهدين الصادقين من أهل الثورة الأوّلين، من الذين بدؤوا الثورة سلميين ثم حملوا السلاح مضطرين لما فرض عليهم نظام الاحتلال معركة السلاح، فصنعوا الأعاجيب وهم يحملون السلاح كما صنعواها يوم لم يحملوا السلاح، وأدّهشوا الدنيا بثباتهم وصبرهم وبطولتهم في الحالتين، وقدّموا لكتاب المعاجم والموسوعات تعريفاً جديداً لمفردات البطولة والشجاعة والتضحية والإقدام.

ولكن الناس ليسوا كلهم سواء، فما كل من حمل السلاح حمله صادقاً مخلصاً وحمل معه أخلاقه العالية، وليس تخلو جماعات المقاتلين من طلاب دنيا ومال وجاه، من الذين اختلط في نفوسهم حب الآخرة بحب الدنيا، فنازعوا على الرئاسات

أو سعوا وراء المغانم والثروات.

هؤلاء يسيئون إلى الثورة ويغامرون بمصيرها، كما يسيء إليها آلاف وآلاف من المجرمين والقتلة واللصوص وقطاع الطريق الذين أطلقهم النظام من السجون، أطلقهم وقال لهم: دونكم دنيا الناس فاصنعوا فيها ما كنتم من قبل تصنون، فليس عليكم اليوم حساب ولا عقاب.

فكانـت النـتيـجة أـن حـمل السـلاح قـوم لـيسـوا مـن الثـورة وـلا صـلة لـهـم بـهـا مـن قـرـيب أو بـعـيد، فـسـرـقـوا مـمتـلكـات الـآـمنـين وـخـطـفـوا الـأـحـرـار مـن الـطـرـقـات وـفـعـلـوا الـآـثـام الـمـوـبـاقـات.

الـذـين يـنـتـسـبـون إـلـى كـلـا الفـرـيقـين أـعـدـاء لـلـثـورـة وـأـعـدـاء لـسـورـيـا، لـيـس بـيـنـهـم وـبـيـن قـوـات النـظـام فـرـقـ، إـلـا أـنـهـم أـسـوـا مـن نـاحـيـة مـن النـواـحـي عـلـى الـأـقـلـ، فـإـنـهـم رـبـما حـمـلـوا اـسـمـ الجـيـشـ الـحـرـ وـتـزـيـوـا بـزـيـهـ فـأـسـأـوـا إـلـيـهـ وـلـوـثـوا سـمـعـتـهـ، فـوـجـبـ عـلـى جـمـاهـيرـ الـأـحـرـارـ أـنـ يـعـلـنـوا عـلـيـهـ الثـورـةـ أـيـنـمـا وـجـدـواـ، وـعـلـى جـيـشـناـ الـحـرـ الـحـقـيقـيـ أـنـ يـسـارـعـ إـلـى نـزـعـ سـلاـحـهـ وـكـفـ أـذـاهـمـ وـشـرـهـ عـنـ النـاسـ. إـنـ الـمـجـاهـدـينـ الصـادـقـينـ يـبـذـلـونـ نـفـوسـهـمـ دـفـاعـاـ عـنـ الـمـدـنـيـنـ الـضـعـفـاءـ، وـهـمـ يـحـرـصـونـ عـلـى صـيـانـةـ أـمـوـالـهـمـ مـنـ العـبـثـ وـعـلـى اـحـتـرـامـ كـرـامـتـهـمـ وـحـمـاـيـةـ حـرـيـتـهـمـ مـنـ أـيـ عـدـوـانـ، وـإـذـا حـرـرـواـ أـمـلـاـكـ الـشـعـبـ وـمـؤـسـسـاتـهـ وـاـسـتـرـجـعـوـهـاـ مـنـ نـظـامـ الـاحتـلـالـ الـأـسـدـيـ فـإـنـهـمـ يـوـزـعـونـ خـيـرـاتـهـاـ عـلـىـ النـاسـ. أـمـاـ الـفـاسـدـوـنـ مـنـ حـمـلـةـ السـلاحـ فـإـنـهـمـ يـعـتـدـونـ عـلـىـ النـاسـ، وـقـدـ يـتـسـلـطـونـ عـلـىـهـمـ بـقـوـةـ السـلاحـ فـيـسـلـبـونـهـمـ الـأـمـلـاـكـ وـالـأـمـوـالـ، وـرـبـماـ اـعـتـدـواـ أـيـضـاـ عـلـىـ الـكـرـامـةـ وـالـحـرـيـةـ وـاعـتـقـلـوـاـ الـأـبـرـيـاءـ وـعـذـبـهـمـ فـيـ السـجـونـ وـالـمـعـتـقـلـاتـ، وـمـنـهـمـ مـنـ يـسـتـوـلـيـ عـلـىـ مـؤـسـسـاتـ الـدـوـلـةـ وـأـمـلـاـكـ الـأـمـةـ فـيـحـولـهـاـ إـلـىـ مـشـرـوـعـاتـ شـخـصـيـةـ يـجـنـيـ هـوـ خـيـرـاتـهـاـ وـيـحـرـمـ مـنـهـاـ عـامـةـ السـوـرـيـينـ.

* * *

ربـماـ يـتـذـكـرـ الـقـرـاءـ الـكـرـامـ الـذـينـ تـابـعـونـيـ فـيـ هـذـهـ السـلـسـلـةـ أـنـيـ قـدـمـتـ لـهـاـ بـمـقـدـمـةـ شـرـحـتـ فـيـهـاـ سـبـبـ كـتـابـتـهـاـ وـنـشـرـهـاـ، وـأـرـجـوـ أـنـ تـحـتـمـلـونـيـ وـأـنـ أـقـبـسـ فـيـ هـذـاـ المـقـامـ بـضـعـةـ سـطـورـ مـنـهـاـ.

قـلـتـ: إـنـ الـثـورـةـ مـشـرـوـعـ لـجـمـاعـةـ السـوـرـيـينـ وـلـيـسـ لـبـعـضـ أـفـرـادـهـمـ، وـلـقـدـ شـارـكـ الـشـعـبـ كـلـهـ أـوـ جـلـهـ فـيـ دـفـعـ ثـمـنـ النـصـرـ، فـلـنـ نـرـضـىـ أـنـ تـحـرـمـنـاـ مـنـهـ فـتـةـ قـلـيلـةـ وـأـنـ تـدـفـعـنـاـ إـلـىـ الـهـزـيمـةـ بـسـبـبـ أـخـطـائـهـ وـتـجـاـزـاتـهـ. الـثـورـةـ هـيـ السـفـيـنـةـ الـتـيـ نـرـجـوـ أـنـ تـحـمـلـنـاـ جـمـيـعـاـ إـلـىـ الـبـرـ الـآـمـنـ، فـهـلـ تـرـوـنـ أـنـ نـسـمـعـ لـثـلـثـةـ مـنـاـ بـخـرـقـ جـزـءـ مـنـ أـرـضـهـ؟

الـنـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ خـبـرـنـاـ أـنـ سـكـوتـ سـائـرـ رـكـابـ السـفـيـنـةـ عـنـ الـخـرـقـ وـرـضـاـهـمـ بـهـ وـعـدـ التـدـخـلـ لـوـقـفـهـ جـرـيـمـةـ جـمـاعـيـةـ يـدـفـعـ الـكـلـ ثـمـنـهـ، قـالـ: "فـإـنـ يـتـرـكـوـهـمـ وـمـاـ أـرـادـوـاـ هـلـكـوـاـ جـمـيـعـاـ، وـإـنـ أـخـذـوـاـ عـلـىـ أـيـدـيـهـمـ نـجـوـاـ وـنـجـوـاـ جـمـيـعـاـ".

هـذـاـ مـاـ قـلـتـهـ مـنـ قـبـلـ، وـأـزـيدـ عـلـيـهـ الـيـوـمـ: إـنـاـ رـبـماـ اـسـتـهـنـنـاـ بـالـخـرـقـ الـصـغـيرـ لـأـنـهـ صـغـيرـ، وـلـكـنـهـ سـوـفـ يـتـسـرـبـ مـنـ مـاءـ الـبـرـ حـتـىـ يـبـتـلـ الـبـرـ السـفـيـنـةـ وـلـوـ بـعـدـ حـيـنـ.

وـرـبـماـ خـوـفـنـاـ قـوـةـ الـخـارـقـ الـذـيـ يـخـرـقـ أـرـضـ السـفـيـنـةـ فـأـحـجـمـنـاـ عـنـ الـأـخـذـ عـلـىـ يـدـهـ، وـلـوـ تـدـبـرـنـاـ لـرـأـيـنـاـ أـنـاـ قـدـ نـضـحـيـ لـوـ نـازـعـنـاهـ وـمـنـعـنـاهــ بـأـلـفـ وـاحـدـ مـنـاـ، وـلـكـنـنـاـ سـنـنـقـدـ مـنـ الغـرـقـ أـلـفـ أـلـفـ إـنـسـانـ.

إـنـ الـتـجـاـزوـاتـ وـالـاعـتـدـاءـاتـ وـالـأـطـمـاعـ الـشـخـصـيـةـ لـبـعـضـ الـمـجـمـوعـاتـ الـمـسـلـحـةـ الـتـيـ تـنـسـبـ نـفـسـهـاـ إـلـىـ الـجـيـشـ الـحـرـ (وـمـاـ أـبـعـدـ صـلـتـهـ بـالـجـيـشـ الـحـرـ) تـعـرـضـ الـثـورـةـ كـلـهـ لـلـخـطـرـ، وـفـيـ أـقـلـ الـأـحـوـالـ فـإـنـهـاـ تـؤـخـرـ الـنـصـرـ وـتـزـيدـ الـمـعـانـةـ.

لـقـدـ عـانـتـ الـأـمـةـ الـمـسـلـمـةـ طـوـيـلـاـ مـنـ اـسـتـثـارـ الـفـتـةـ الـقـلـيلـةـ الـمـتـغـلـبـةـ بـثـرـوـاتـ الـأـمـةـ وـمـوـارـدـهـاـ، وـقـدـ ثـارـتـ أـخـيـرـاـ لـكـيـ تـمـنـعـ هـذـاـ السـرـطـانـ الـخـبـيـثـ، وـتـصـدـرـتـ سـوـرـيـاـ ثـورـاتـ الـأـمـةـ، بـلـ تـصـدـرـتـ ثـورـاتـ الـدـنـيـاـ بـالـثـبـاتـ وـالـإـصـرـارــ.

لـنـ يـسـمـعـ السـوـرـيـونـ بـعـدـ الـيـوـمـ بـأـنـ يـجـوـعـ الـمـلـاـيـنـ لـكـيـ يـأـكـلـ أـلـفـ لـصـ هـيـنـقـلـهـمـ فـتـحـهـمـ، وـيـعـرـىـ الـمـلـاـيـنـ لـيـلـبـسـ أـلـفـ لـصـ الـذـهـبـ وـالـحـرـيرـ، وـيـعـيـشـ الـمـلـاـيـنـ الـشـهـرـ بـأـلـفـ لـيـرـةـ لـيـعـيـشـ أـلـفـ لـصـ الـيـوـمـ الـوـاحـدـ بـمـلـاـيـنـ الـلـيـرـاتـ.

إن عصابة من قطاع الطرق تستولي على حقل نفط أو مخزن حبوب ثم تبيعه لحسابها إنما تكرّس ذلك الواقع المرير الذي ثرنا لنغيره، والذي لن نسمح بأن يتكرر بعد اليوم إن شاء الله.

لقد ثار الشعب السوري المقدام على أسوأ أنظمة الإجرام في هذا الزمان، فهل ستعجزه جماعات من اللصوص؟ لن تفعل إن شاء الله. لقد آن الأوان لتنظيم الثورة من الأدaran، آن الأوان للثورة على سارقي الثورة الذين يستغلون تضحيات الملايين.

وكما اشترك في الثورة الأولى المدنيون مع العسكريين، هؤلاء بالمظاهرات والاعتصامات وأولئك بالبنادق والمدافع، فكذلك تكون الثورة الثانية، باجتماع الطرفين والصبر والإصرار على الحق حتى يعود الحق إلى أهله، وحتى يتحرر الناس من استبداد المستبددين الجدد الذين يستغلون القوة للاعتداء على الضعفاء الآمنين، وحتى تعود ثروات الأمة إلى الأمة ولا تبقى نهباً للناهبيين.

* * *

إن الثورة المطلوبة على الفاسدين من أهل السلاح ليست خياراً من خيارات الرفاهية، بل هي من شروط البقاء في معركتنا الفاصلة مع النظام.

وللحديث بقية أكملها غداً إن شاء الله.

[الزلزال السوري](#)

المصادر: